بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل كلامه ببلاغته معجزة • والصلوة على محمد صار المنكرين
عن معارضته عاجزة وبعد فهذه رسالة معمولة في تحقيق ان القرآن معجز وتصديق
من قال ان اعجازه ببلاغته فنقول ومن الله التوفيق المعجزة لابد فيها من
اعجاز المنكر فان كل ما اتي به المتحدي صادرا كان عنه كاخباره عن الغيب
او ظاهرا على يده غير صادر عنه كالكلام المنزل على نبينا عليه السلام خارجا عن
طوق البشر كما هو المختار من جملة ما قيل فيه فالاعجاز في اتيان المتحدي به
وان لم يكن خارجا عنه كما هو رأي اصحاب الصرفة في حقه بالاعجاز في منع
المنكرين عن الاتيان بمثله وذلك المنع خارق للعادة فالاعجاز لا يخلو عن
خرق عادة والاعجاز حقيقة انما هو في الثاني واما الاول فالمتحقق فيه
اظهار العجز لا الاعجاز وبالجملة فالمعجزة لابد فيها من خرق العادة واما ما تحدي به
فلا يلزم ان يكون من خوارق العادات وقد قضينا حق المقام في تحقيق هذا
الكلام في بعض تعليقاتنا واذا تقرر هذا فنقول القرآن معجز لانه عليه السلام
قد تحدى به ولم يعارض فكان معجزا سواء كان عدم المعارضة مع القدرة
عليها او بدونها اما التحدي فيه فقد تواتر بحيث لم يبق فيه شبهة وآيات التحدي
كثيرة نزل اولا قوله تعالى فليأتوا بحديث مثله فكان التحدي بكل القرآن
في ذلك الزمان فلما ظهر عجزهم عنه نزل قوله تعالى قل فأتوا بعشر سور مثله

فتحداهم بعشر سور ثم لما ظهر عجزهم عنها ايضا نزل قوله تعالى فأتوا بسورة
من مثله فتحداهم بمقدار سورة منه فلما ظهر عجزهم عنه ايضا لزمتهم الحجة
لزوما واضحا وانقطعوا انقطاعا فاضحا وبهذا التفصيل تبين ان حق
الضمير في مثله ان يرجع الى المنزل لا الى المنزل عليه لما فيه من التضييق
في باب التحدي ومقتضى التنزل من الكل الى العشر ومن العشر الى الواحد التوسيع
فيه ولان معنى من مثله ممن على حاله من كونه اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم
ولا تأثير لتلك الحال اذا كان التحدي بمقدار اقصر سورة منه واما الذي ذكره
الامام البيضاوي من انه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه عليه السلام لقوله تعالى
لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ
فلا وجه له لان التحدي ههنا ليس بكل القرآن بل ببعض منه فلا يتم التقريب
او لا ينطبق التعليل المعلل فتأمل واما انه لم يعارض فلانه لو عورض لشاع
لتوفر الدواعي الى نقله وعدم الصارف عنه والعلم بذلك قطعي كسائر العاديات
لا يقدح فيه احتمال انهم عارضوا ولم ينقل الينا لمانع كعدم المبالاة وقلة
الالتفات والاشتغال بالمهمات واما عدم توقف ثبوت الاعجاز بعدم التقديرين
المذكورتين على مقدمة اخرى وهي ان يكون عدم معارضتهم لعجزهم عنها الظاهر
من قولنا سواء كان عدم المعارضة مع القدرة عليها او بدونها فلما تقرر
ان الصرفة احد وجوه الاعجاز القرآني واحد احتماليها على تحقق القدرة

على المعارضة وبهذا التفصيل تبيّن ان الفاضل التفتازانى لم يصب فى زعمه
توقف ثبوت الاعجاز القرآنى على المقدمة الثالثة المذكورة كما هو الظاهر
من مساق كلامه فى هذا المقام حيث قال فى شرحه للمقاصد اما المقام الاول
فهو انه عليه السلام تحدّى بالقرآن ودعا الى الاتيان بسورة من مثله مصاقع
البلغاء والفصحاء من العرب العرباء مع كثرتهم كثرة رمال الدهناء وحصى
البطحاء وشهرتهم بغاية العصبية والحمية الجاهلية وتهالكهم على المباهاة
والمباراة والدفاع عن الاحساب وركوب الشطط فى هذا الباب فعجزوا
حتى آثروا المقارعة على المعارضة وبذلوا المهج والارواح دون المدافعة
فلو قدروا المعارضة لعارضوا ولو عارضوا النقل الينا لتوفر الدواعى وعدم
الصارف الى هنا كلامه فاورد فى اثناء اعجاز القرآن ما يقال فى دفع احتمال
ان يكون وجه اعجازه على ما ذكره الاستاد والنظام من اصحاب الصرفة
فخلط بين الكلامين فى المقامين وتبيّن ايضاً ما فى قول صاحب المواقف
اما التحدى اى طلب اذا تحدّى به ولم يعارض يكون معجزاً افوقد مر اى فيما سلف
من بيان حقيقة المعجز وشرائطها مع القصور لما عرفت ان ما اسلفنا
من البيان لا يفى فى تمام التقريب بل يتبادر منه الى الوهم التوقف على المقدمة
الثالثة بناء على ان من جملة الشرائط السالفة بيانها تعذر المعارضة
اعلم ان المسلمين بعد ما اتفقوا على ان القرآن الكريم معجز عظيم قد اختلفوا

رد لصاحب المواقف

فى وجه اعجازه فمنهم من قال انه ما اشتمل عليه من النظم الغريب والترتيب
العجيب والاسلوب المخالف لما استنبط بلغاء العرب من الاساليب فى
مطالعه ومقاطعه ومفاصله وفواصله وهذا هو مذهب بعض المعتزلة
ومنهم قال انه ما اشتمل عليه من البلاغة التى تقاصرت عنها ساير ضروب
البلاغات وهذا قول الجاحظ من المعتزلة وعليه المحققون من اهل العربية
وههنا مقدمة لا بد من تقريرها وبسط الكلام فيها وهى ان اصل البلاغة
فى القرآن متفق عليه لا ينكره من له ادنى تميز ومعرفة بصناعة صياغة
الكلام انما الخلاف فى كونه فى الدرجة العالية من غير المعتادة والجاحظ ومن
حذى حذوه اثبتوا له هذا الكون وخالفهم الآخرون واما كونه فى غاية القصوى
من المراتب الممكنة للبلاغة فلا حاجة للمثبتين اعجازه من جهة البلاغة
الى ادعائه ولا سبيل لهم الى اثباته قال صاحب المواقف وهل مراتب البلاغة
متناهية اختلفوا فيه والحق ان الموجودة منها متناهية دون الممكنة
من مراتبها ومن هذا اتضح عدم اصابة الفاضل التفتازانى فى تقرير الكلام
فى هذا المقام حيث قال فى شرحه للمقاصد واما المقام الثانى فالجمهور على
ان اعجاز القرآن لكونه فى الطبقة العليا من الفصاحة والدرجة
القصوى من البلاغة على ما يعرفه فصحاء العرب بسليقتهم وعلماء الفرق
بمهارتهم فى فن البيان واحاطتهم باساليب الكلام ثم انه كما لم يصعب

فى نسبتها الى الجمهور الامر المذكور كذلك لم يصب فى نسبة معرفة ذلك الامر
الى فصحاء العرب وعلماء البلاغة فان المعلوم لهم بلوغه الى حد من البلاغة
لا يمكن للبشر الوصول اليه واما ان ذلك الحد آخر حدود البلاغة لهم بمعزل
عنه ومنشا الكشف الكثير هو ان تحدى الاعجاز من جهة البلاغة تعرضا
على ما افصح عنه العلامة السكاكى حيث قال فى المفتاح ان البلاغة تتزايد
الى ان تبلغ حد الاعجاز وهو الطرف الاعلى وما يقرب منه الا انه لم يصب
فى ان غاية المنتهى لمراتب البلاغة لما عرفت انه ما من مرتبة فى البلاغة الا ويمكن
ان يوجد فوقها مرتبة اخرى وقد استولى الشريف الفاضل على هذا حيث قال
فى شرح قول صاحب المواقف دون المتمكن من تراكيبها فانه غير متناه اذ لا يتعذر
وجود الالفاظ هى افصح من الواقعة واشد مطابقة لمعانيها فيكون اعلى
رتبة فى البلاغة وهكذا الى ما لا يتناهى والعجب ان ذلك الفاضل مع وقوفه
على هذا المعنى كيف اتى فى شرحه للمفتاح بما يفصح عن خلافه حيث قال وهذه
المرتبة اى المرتبة التى يعجز البشر عن الاتيان بمثلها يشتمل على شيئين
احدهما الطرف الاعلى من البلاغة اعنى ما ينتهى اليه البلاغة ولا يتصور
تجاوزها والثانى ما يقرب من الطرف الاعلى اعنى المراتب العلية التى تتقاصر العقول
البشرية عنها ايضا الا ترى ان آيات القرآن المجيد باسرها فى مرتبة الاعجاز
مع كونها متفاوتة فى طبقات البلاغة ولقد احسن من قال در بيان

و در فصاحت كى بود يكسان سخن گرچه گوينده بود چون جاحظ و چون
اصمعى در كلام ايزد بيچون كه وحى منزلست كى بود تبت يدا چون
قيل يا ارض ابلعى فان قطعا اعنى ما ينتهى اليه البلاغة ولا يتصور
تجاوزها صريح فى خلاف ما نص عليه فى شرحه للمواقف ثم انه لم يصب
فى قطعه مع كونها متفاوتة فى طبقات البلاغة لان التفاوت
فى باب البلاغة انما يكون بارتفاع شان الكلام وانحطاطه فيها
وذلك بحسب مصادفة المقام بما يليق به من الاعتبارات التى
تقتضيها فما كان مصادفته اياه بالوجه المذكور اتم فشانه فى البلاغة
اعلى وهذا التفاوت لا يوجد فى آيات القرآن المجيد لان مرجعه
الى القصور فى المتكلم لعدم اقتداره جميع ما لا يليق بالمقام من الاعتبارات على احاطة جد
المناسبة له او على اتيانها بتمامها فيها تفاوت فى باب الحسن والقبول ثم جد
لان ارتفاع شان الكلام وانحطاطه فيه بحسب اشتماله على الخواص
والمزايا فالذى دائرة اشتماله عليها اوسع شانه فى باب الحسن
والقبول ارفع فالتفاوت فيه يوجد فى الكلام المعجز كما يوجد
فى غيره لانه قد يرجع الى القصور فى المقام حيث لا يتحمل ما تحمله
مقام كلام آخر فوقه من الخواص والمزايا بخلاف التفاوت
السابق ذكره فانه مخصوص بكلام البشر وغيره ممن يجوز فى شانه

في شأنه القصور لا يوجد في كلام الله تعالى لما عرفت ان مرجعه الى القصور
في المتكلم والتفاوت بين قوله تعالى تبّت يدا ابي لهب وقوله تعالى
وقيل يا ارض ابلعي ماءك الآية قبيل التفاوت الناشئ من قصور المقام على
المذكورين في ذينك التفاوتين قد ذهب على العلامة السكاكي فذهب
في المفتاح الى ما ذهب ولم يتنبه له الناظرون في كلامه وقد تعرضنا
لهذا في اصلاح المفتاح وكشفنا عنه الغطاء في شرح سورة الملك النوح
ومنهم من قال انه مجموع الامرين اي النظم الغريب وكونه في الدرجة
العالية من البلاغة الخارجة عن طوق البشر وهذا القول منسوب
الى القاضي الباقلاني ومنهم من قال انه لما اشتمل عليه من الاخبار
عن الغيب مطابقاً لما هو الواقع بعد ذلك كما في قوله تعالى
وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ وانما قيدنا الواقع بقولنا بعد ذلك
لان الاخبار عن الغيب الواقع قبله يحتمل ان يكون بواسطة
الجن فلا يصح وجها للاعجاز قال الآمدي في ابكار الافكار
وليس المعجز نفس الاخبار عن الغيب ولا نفس وقوع المخبر
عنه اذا كان من الامور العادية بل المعجز من ذلك علمه بالغيب
الذي دل عليه المخبر عنه ومنهم من قال انه عدم اختلافه
وتناقضه مع ما فيه من الطول والامتداد وتمسكوا في ذلك

بقوله تعالى وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا وكان
هذا القائل غافل عن وقوع التحدي بمقدار سورة عشر او جاهل بان
التحدي به يستلزم ان يوجد الاعجاز في كل بعض منه مقداره مقدار
سورة عشر او جاهل بان التحدي به يستلزم ان يوجد الاعجاز في كل
بعض منه مقداره مقدار سورة الكوثر فتدبر ثم ان دلالة الآية
المذكورة على انه كلام الله تعالى لا كلام غيره من المخلوقات لما ذكر من ان فيه
ما هو من خصايص كلامه تعالى واما ان جهة اعجازه تلك الخاصية فلا دلالة
فيها عليه لان اعجازه امر وكونه كلام الله تعالى امر آخر وقد اطنبنا الكلام
في هذا المقام في بعض تعليقاتنا ومنهم من قال ان اعجازه بالصرفة على
معنى ان العرب كانت قادرة قبل البعثة على كلام مثل القرآن لكن
الله تعالى صرفهم عن المعارضة مع بقاء قدرتهم عليها او بدونها على
اختلاف الرأيين قال الآمدي في ابكار الافكار وذهب الاكثرون كالاستاد
ابي اسحق والنظام وبعض الشيعة وغيرهم الى ان العرب كانت
قادرة على مثل كلام القرآن قبل البعثة وانه لا اعجاز في القرآن وانما
المعجز صرف بلغاء العرب عن معارضته اما بصرف دواعيهم
كما قاله النظام والاستاد ابو اسحق واما بسلبهم العلوم التي لا بد منها في
المعارضة كما قاله الشريف المرتضى من الشيعة الى هنا كلامه وبهذا

التفصيل تبين الخلل في بيان الفاضل التفتازاني معنى الصرفة المنسوبة
الى النظام حيث قال في شرحه للمفتاح وبالجملة في الكلام اشارة الى وجه
اعجاز القرآن امر من جنس البلاغة والفصاحة وهو كونه في الطبقة
العليا منهما لا كما ذهب اليه النظام وجمع من المعتزلة ان اعجازه بالصرفة
بمعنى انه لم يكن معجزا في نفسه وامكن للعرب ان يعارضوه الا ان الله تعالى
صرفهم عن ذلك وسلب علومهم به وقدرتهم عليه لما عرفت ان
الصرفة بهذا المعنى مذهب المرتضى لا مذهب النظام وقال الفاضل المذكور
في شرحه للمقاصد وذهب النظام وكثير من المعتزلة والمرتضى
من الشيعة الى ان اعجازه بالصرفة وهي ان الله تعالى صرف المتحدين
عن معارضته مع قدرتهم عليها وذلك اما بسلب قدرهم او سلب
دواعيهم او سلب العلوم التي لا بد منها في الاتيان بمثل القرآن بمعنى
انها لم تكن حاصلة لهم او بمعنى انها كانت حاصلة فازالها الله تعالى
وهذا هو المختار عند المرتضى ولا يخفى ما فيه من الخلل اما اولا فلان ما ذكره
بقوله وذلك اما بسلب الخ لا يصلح تفصيلا لما اجمله لانه شرط فيه وجود
القدرة على المعارضة وهي مفقودة في كل من شقي هذا التفصيل واما ثانيا
فلان سلب العلوم التي لا بد منها في المعارضة لا يصلح ان يكون مقابلا لسلب
قدرهم على المعارضة اذ لم يتحققوا القدرة عليها فيندرج تحت سلبها

واما ثالثا فلان السلب بمعنى عدم الحصول ابتداء لا يصلح تفسيرا
للصرفة وهو بمعزل عن مراد القائلين بها واما رابعا فلان مذهب
المرتضى ازالة القدرة بسلب العلوم التي لا بد منها في المعارضة
لا ما يعم منها ومن ازالة الدواعي اذ لم ينتظم ما ذكره المعنى الذي ذهب اليه
الاستاذ والنظام وقال الشريف الفاضل في شرحه للمفتاح وقد اشار
بما ذكره الى ما اختاره في آخر التكملة من ان وجه الاعجاز هو امر من جنس
البلاغة والفصاحة كما يجده ارباب الذوق لا ما ذهب اليه بعضهم
من الصرفة اي صرف الله سبحانه دواعي العرب عن معارضته مع قدرتهم
عليها ولا يخفى ما فيه من القصور لان ما ذكره احد معنيي الصرفة
والمقام مقام رد القدر المشترك بينهما فكان الاحق ان يذكر المعنيين الذين
ذهب الى كل منهما فرقة من اصحاب الصرفة ثم قال الفاضل المذكور في الشرح
المزبور او من وروده على اسلوب مباين لاساليب كلامهم في خطبهم
واشعارهم لا سيما في مطالع السور ومقاطع الآي مثل يؤمنون يعلمون
يفقهون او من سلامته مع طوله جدا عن التناقض او من اشتماله
على الغيوب فهذه اقوال خمسة في وجه الاعجاز الا سادس لها وانت بعد
ما احطت بما قدمناه من التفصيل وقفت على ان قوله لا سادس لها ليس
بصحيح فان قول القاضي ابي بكر سادس لها على ان هنا اقوالا اخر ذكر ما

اللهم حيث قال في الجار الانكار ومنهم من قال وجه الاعجاز فيه موافقة
لقضية العقل في دقيق المعاني ومنهم من قال وجه الاعجاز فيه انما هو قدمه
ومنهم من قال وجه الاعجاز فيه كونه دالا على الكلام القديم قال الفاضل
المذكور في شرحه للمواقف عند تفصيل القول بالصرفة فقال الاستاذ
ابو اسحق منا والنظام من المعتزلة صرفهم الله تعالى عنها مع قدرتهم
عليها وذلك بان صرف دواعيهم اليها مع كونهم مجبولين عليها خصوصا
عند توفر الاسباب الداعية في حقهم كالتقريع بالعجز والاستنزال
عن الرياسات والتكليف بالانقياد فهذا الصرف خارق
للعادة فيكون معجزا وقال المرتضى من الشيعة بل صرفهم بان سلبهم
العلوم التي يحتاج اليها في المعارضة يعني ان المعارضة والاتيان
بمثل القرآن يحتاج الى علوم يقتدر بها عليها وكانت تلك العلوم حاصلة لهم
لكنه تعالى سلبها بالصرفة الواقع في شرحه للمفتاح وقد استدل على بطلان
الصرفة بوجوه الاول ان فصحاء العرب انما كانوا يتعجبون من حسن
نظمه وبلاغته وسلاسته في جريانه ويرقصون رؤسهم عند سماعه
فيها الثاني انه لو قصد الاعجاز بالصرفة لكان المناسب ترك
الاعتناء ببلاغته وعلو طبقته لانه كلما كان انزل في البلاغة وادخل
في الركاكة كان عدم تيسر المعارضة ابلغ في خرق العادة الثالث

[illegible]

قوله تعالى قل لئن اجتمعت الجن والانس على ان يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فان ذكر
الاجتماع والاستظهار بالغير في مقام التحدي انما تحسن فيما لا يكون
مقدورا للبعض ويتوهم كونه مقدورا للكل فيقصد نفي ذلك كذا
قال الفاضل التفتازاني في شرحه للمقاصد ولا يذهب عليك ان الوجه
الاول كما يبطل القول بالصرفة يبطل سائر غير القول بالبلاغة
في الطبقة العالية الخارجة عن طوق البشر بل في الحقيقة دليل القائلين بها
وان الوجه الثاني والثالث انما يبطل الصرفة على احد الاحتمالين وهو
الذي اختاره الاستاذ والنظام ثم قال الفاضل المذكور في الشرح المزبور
فان قيل لو كان القصد الى الاعجاز بالبلاغة لكان ينبغي ان يؤتى
بالكل في اعلى الطبقات لكونه ابلغ في خرق العادة والمذهب ان الله تعالى
قادر على ان يأتي بما هو افصح مما اتى به وابلغ وان بعض الآيات في
باب البلاغة اعلى وارفع كقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك الآية بالنسبة
الى سورة الكافرين مثلا قلنا هذا ادخل في الغرض واوضح في المقصود
بمنزلة صانع يبرز في مصنوعاته ما ليس غاية مقدوره ونهاية
ميسوره ثم يدعو جماهير الحذاق في الصناعة الى ان يأتوا بما يوازي
او يداني ادون مما اتى به واهون مما ابداه انتهى ولقد اخطأ في السؤال

وما اجاب فى الجواب اما الاول فلان مبنى الشرطية القائلة لو كان القصد
الى الاعجاز بالبلاغة لكان ينبغى ان يؤتى بالكل فى اعلى الطبقات على
امكان وجود كلام فى اعلى الطبقات وقد عرفت ان ذلك غير ممكن
لما تقرر فيما سبق ان المراتب الممكنة فى البلاغة غير متناهية ومن
ههنا ظهر خلل من وجه آخر فى الكلام المذكور حيث كان المفهوم منه
ان يكون بعض القرآن فى اعلى طبقات البلاغة وايضا قوله
وان بعض الآيات فى باب البلاغة اعلى وارفع ليس بصحيح لما عرفت
ايضا فيما تقدم ان الآيات القرآنية سواسية فى باب البلاغة لا تفاوت
فيهما من تلك الجهة انما التفاوت بينهما من جهة الاشتمال على الخواص
والمزايا وهذا التفاوت فى باب الحسن والقبول واما الثانى فلان
التمثيل لا يطابق الممثل لان الدعوة والتحدى من رسول الله
عليه السلام والقرآن كلام الله تعالى لا كلامه فلم يكن واحد منهما بمنزلة
الصانع المذكور ثم انك بعد ما احطت جوانب المقال فى هذا المقام
وعلمت ما هو المختار من القيل والقال عرفت ما فى كلام الامام
البيضاوى فى ديباجة تفسيره وهو قوله فتحدى باقصر سورة مصاقع من سوره
الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته
من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا

من الخلل لان الظاهر من ختام كلامه ان لا يكون تلك البلغاء عارفين
ببلوغ القرآن الى الطبقة العالية من البلاغة الخارجة عن طوق البشر بل
الظاهر منه ان يكونوا من القائلين بالصرفة فلا يناسب سياق الكلام لانه
صريح فى التحدى من جهة البلاغة ولا يصح غاية لما فى سياقه من المبالغة
من جهتها وبالجملة قد بالغ فى بيان الافحام لكن لا على وجه يخرج مدح القرآن
كما هو مقتضى المقام بل انه غير مطابق للواقع على ما افصح عنه الشيخ فى دلائل
الاعجاز حيث قال عند استدلاله على بطلان القول بالصرفة وما يلزمهم
على اصل المقالة ان العرب لو كانت منعت منزلة من الفصاحة
قد كانوا عليها يعرفون ذلك من انفسهم ولو عرفوه لكان يكون
قد جاء عنهم ذكر ذلك ولكانوا اذا قالوا للنبى عم انا كنا نستطيع قبل
هذا الذى جئتنا به ولكنك قد سحرتنا واحتلت فى شىء حال بيننا وبينه
فقد نسبوا الى السحر فى كثير من الامور كما لا يخفى وكان اقل ما يجب
فى ذلك ان يتذاكروه فيما بينهم ويشكوه البعض الى البعض ويقولوا مالنا قد
نقصنا فى قرائحنا وقد حدث كلول فى اذهاننا ففى ان لم يروا ولم يذكر
انه كان منهم قول فى هذا المعنى لا ما قل ولا ما كثر دليل على
انه قول فاسد ورأى ليس من آراء ذوى
التحصيل الى هنا كلامه بعبارته
والله اعلم
تم

تم معالمه